مراحل الدّعوة إلى العاميّة وأثرها في لبنان

Stages of the call for colloquial Arabic and its impact in Lebanon

محمد فؤاد المولى(*) Mohamed Fouad Al-Mawla

تاريخ الإرسال:2025-12-12 تاريخ القبول:2025-12-30

Turnitin:1%

المخلص

تتناول هذه الدّراسة المراحل المتعاقبة للدعوة إلى استخدام اللهجة اللبنانيّة العاميّة بدلًا من اللّغة العربيّة الفصحى الحديثة، وتقيّم أثر هذه الدّعوة على الهويّة اللّغوية والثّقافيّة في لبنان.تبدأ الدّراسة بتعريف شامل لكل من اللّغة العربيّة الفصحى الحديثة واللّهجة اللّبنانيّة العاميّة، يلي ذلك استعراض لتاريخ تطوّر اللهجة اللبنانيّة ونشأتها.

تحلّل الدّراسة المراحل التاريخيّة التي شهدت تأييدًا أو معارضةً لهذه الدّعوة، مع التّركيز على دور بعض الأدباء والمفكرين مثل ميخائيل نعيمة، سعيد عقل، وأنيس فريحة الذين سعوا إلى دمج اللهجة العاميّة في الخطاب الأدبي والثّقافي.

وتستعرض الدّراسة تأثير اللهجة العاميّة على وسائل الإعلام والفنون اللبنانيّة، وتبحث في تداعيّات ذلك على سياسات اللّغة والهُويّة الوطنيّة، مع إبراز التّحديّات التي تواجهها في ظلّ هيمنة اللّغة العربيّة الفصحى في المجالات الرّسمية والأكاديميّة.

تخلص الدّراسة إلى أنّ تعزيز استخدام اللّهجة العاميّة قد ساهم في تسهيل التّواصل الشّعبي والتّعبير الثّقافي، لكنّه لم يحلّ محل اللّغة العربية الفصحى في السّياقات الرّسميّة والعلميّة.ومع ذلك، فإنّ حركة الدّعوة إلى العاميّة قد أسهمت بشكل ملحوظ في إثراء التّنوع اللغوي في لبنان وتعزيز الهويّة الثّقافيّة الوطنيّة.

الكلمات المفتاحيّة:الدّعوة - العاميّة- الثقافة- لهجة- الخطاب

Abstract

This study explores the successive stages of the movement advocating the use of the Lebanese collguial dialect of Modern Standard Arabic (MSA), and evaluates its impact on linguistic and cultural identity in Lebanon.The research begins with a comprehensive definition of both Modern Standard Arabic and the Lebanese colloguial dialect, followed by a historical overview

* طالب دكتوراه في الجامعة الإسلاميّة -بيروت- لبنان- قسم اللغة العربيّة وآدابها

PhD student at the Islamic University – Beirut – Lebanon – Department of Arabic Language and Literature.
E-mail: mohamadali108291@gmail.com

identity.It highlights the challenges faced by the dialect amid the dominance of Modern Standard Arabic in official and academic domains.

The study concludes that while promoting the colloguil dialect has facilitated public communication and cultural expression, it has not replaced MSA in formal or scientific contexts. Nevertheless, the colloguial movement has significantly contributed to enriching linguistic diversity in Lebanon and reinforcing national cultural identily.

Keywords: Da'wah – colloquial language – culture – dialect – discourse

المقدّمة:

شهدت السّاحة اللغوية والثّقافية في لبنان منذ أواخر القرن التّاسع عشر محاولات متكررة للدّعوة إلى استعمال العاميّة بدلًا من الفصحى، سواء في الأدب، أو التّعليم، أو حتى في الطرح القومي والثّقافي. وقد أثارت هذه الدّعوات جدلًا واسعًا بين المثقّفين، بين من رأى فيها تحررًا من القيود التّقليديّة للّغة، ومن عدّها تهديدًا مباشرًا لهوية الأمّة ووحدتها الثّقافية.

يمتاز لبنان، بتعدديته الثقافيّة والطائفيّة، بكونه بيئة خصبة لبروز مثل هذه الاتجاهات، خصوصًا في ظلّ تأثير الإرساليّات الأجنبيّة، والانفتاح المبكر على الغرب، والحريّة النسبيّة في التّعبير، وقد

of the development and origins of the Lebanese Dialect.

The study analyzes the historical phases that witnessed either support for or opposition to this movement, with a focus on the contributions of prominent writers and intellectuals such as Mikhail Naima, Said Akl, and Anis Freiha, who sought to integrate the colloguial dialect into literary and cultural discourse.

Furthermore, the study examines the influence of the colloguial dialect on Lebanese media and the arts, and investigates the conseguences of this trend on language policy and national

أدّى عدد من المفكرين والكتّاب، مثل سعيد عقل وأنيس فريحة وميخائيل نعيمة، أدوارًا محوريّة في تشكيل هذه الدّعوات، كلّ من زاويته الخاصّة.

يسعى هذا البحث إلى تتبّع مراحل الدّعوة إلى العاميّة في لبنان، متى ظهرت؟ وأي ظروف أمّنت لها التّطور والانتشار؟ كذلك يسعى إلى تتبّع آثارها على لبنان وانقسام الشّعوب بين مؤيد للدّعوة ومعارض لها.وكيف راحت تسجّل نفوذًا في النّتاج اللغوي والأدبي يصل مرّةً حدود العصر الذّهبي ومرّات تثبت التّجربة عودةً إلى الأصيل لتُردّ للفصحى مكانتها.وتحليل أثرها اللغوي والثّقافي والاجتماعي، مع التّركيز على السّياقات

التي نشأت فيها، والردود التي واجهتها، وأثرها المستمر حتى اليوم في التّعليم والإعلام والخطاب العام.

إشكاليّة البحث:

على الرّغم من أنّ اللّغة العربية الفصحى تمثّل الرّكيزة الأساسيّة للهويّة العربيّة والوحدة الثّقافية، إلّا أنّ الواقع الاجتماعي واللّغوي في لبنان يكشف حضورًا قويًّا للّهجة العاميّة في مختلف مناحي الحياة اليوميّة، بل وفي بعض الخطابات الثّقافيّة والإعلاميّة.هذا الحضور المتزايد يطرح تساؤلات حول مدى تأثيره على مكانة الفصحى، وعلى الهوية اللّغوية والثّقافية الوطنيّة.

من هنا تبرز جملة تساؤلات تشكّل المشكلة التي يطرحها البحث وأهمها:أو بديلًا عنها؟ هل تمثّل هذه الدّعوة تعبيرًا عن تنوّع ثقافي مشروع، أم أنّها تمهّد لتفكيك الهويّة اللّغويّة العربيّة في لبنان؟

ويتفرّع من هذه الإشكاليّة عدد من التّساؤلات الفرعيّة، منها:

- ماهي السّياقات التّاريخيّة والثقافيّة التي ظهرت فيها هذه الدّعوة؟
- من هم أبرز الدّاعمين لها، وما دوافعهم الفكريّة؟
- ما أثر استخدام العاميّة على الإعلام والتّعليم والأدب في لبنان؟
- وما موقف المؤسسات الرّسمية والتّربويّة من هذه الظّاهرة؟
- إلى أي مدى شكّلت الدّعوة إلى استخدام اللّهجة اللبنانية العاميّة تهديدًا للغة العربية الفصحى؟

أ- لماذا بدأت هذه الدّعوة: ولماذا استمرّت على درجة معيّنة من الإصرار.

ب- هل تأثرت هذه الدّعوة إلى آثار فعلية تحققت في الحياة الفكريّة والعلميّة في لبنان؟

ج- هل رأى اللبنانيون في هذه الدّعوةانقطاعًا عن العالم العربي والتّراث الجيّد؟ وهل أثّر هذا الانقطاع على حياتهم الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة والأدبيّة سلبًا أم إيجابًا؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على ظاهرة الدّعوة إلى استخدام اللهجة اللبنانيّة العاميّة، التي تمثّل جزءًا حيويًا من الهُويّة الثّقافيّة واللّغوية في لبنان.إذ إنّ فهم هذه الظاهرة يسهم في تعزيز الوعي بدور اللغة في تشكيل الانتماء الوطني والتّواصل الاجتماعي.

ويتيح البحث فرصة دراسة تأثير هذا التّحوّل اللغوي على مختلف المجالات الثقافيّة والإعلاميّة، ما يساعد في تقييم مدى تناسب استخدام اللهجة العاميّة مع

متطلبات العصر الحديث.بالإضافة إلى ذلك، يقدّم البحث رؤية موضوعيّة حول التّحديّات التي تواجه اللهجة اللبنانيّة في ظل بقاء اللغة الرّسميّة المعتمدة في التّعليم والإدارة، ما يجعله مرجعًا مهمًّا للباحثين والمثقفين الذين يسعون لفهم العلاقة بين اللغة والهُويّة الوطنيّة.

وتبرز أهميّة البحث في كونه يُعالج قضيّة لغويّة وثقافيّة حيويّة تمُسّ جوهر الهُويّة الوطنيّة اللبنانيّة، وكذلك تبرز في دراسة الظاهرة اللغويّة التي تساعد في فهم مدى التحوّلات التي تشهدها المجتمعات العربية في علاقتها باللغة، وخاصة في سياق الانفتاح الثّقافي والتّواصل الإعلامي المعاصر.

فرضيّات البحث:

ينطلق البحث من الفرضيّات الآتية:

- إنّ الدّعوة إلى استخدام العاميّة في لبنان لم تكن مجرّد ظاهرة لغوية، بل حملت أبعادًا فكرية وثقافية وسياسية.
- لقد أثّرت هذه الدّعوة في مكانة اللغة العربيّة الفصحى ضمن المجتمع اللبناني، خاصّة في الإعلام والأدب.
- إنّ للعاميّة دورًا في تعزيز الخصوصية الثقافيّة، لكنّها قد تُسهم في تراجع وحدة الانتماء اللغوي العربي إذا لم تُضبط.
- إنّ المؤسسات الرّسميّة والتّربوية حافظت على الفصحى بوصفها لغة رسميّة، على الرّغم من تنامي حضور العاميّة في الخطاب العام.
- الفُصحى لا تزال تحتفظ بمكانتها في المؤسسات الرّسمية والتّربوية، ولكن من دون دعم فعّال لمشروع لغوي شامل، فإنّ العاميّة قد تكتسب مزيدًا من المساحات على حسابها.

وهذا ما يوجب التّفكير في سياسات لغوية متوازنة تحمي الفصحى وتحتوي العاميّات ضمن إطار الهُويّة العربيّة الجامعة.

فالدّعوة إلى العاميّة ليست ظاهرة لغوية بحتة، بل هي انعكاس لتحوّلات اجتماعيّة وفكريّة وسياسيّة.إذ إنّ المطالبة باستخدام العاميّة لم تنشأ من فراغ، بل ارتبطت بأيديولوجيّات متباينة، منها ما يرتبط بالهُويّة اللّبنانية الخاصّة، ومنها ما يتّصل بمحاولات فصل لبنان عن محيطه العربي.

شكّل القرآن الكريم والمؤسّسات الدّينيّة والثقافيّة سدًّا منيعًا ضدّ اندثار الفصحى، على الرّغم من توسّع العاميّة في الخطاب اليومي والإعلامي.وهذا يعزّز الفكرة بأنّ الفصحى ليست مجرّد لغة، بل حاملة لتراث ديني وثقافي متجذّر يصعب تجاوزه.

والدّعوة إلى العاميّة أسهمت في إحداث انقسام لغوي- ثقافي داخل المجتمع اللبناني،

خصوصًا في النّخب الثّقافيّة والإعلاميّة، ما أثّر على وحدة المرجعيّة اللّغوية.وهذا الانقسام جعل التّعليم والتّواصل الثّقافي في بعض الأحيان يتّسمان بازدواجيّة مربكة بين الفصحى والعاميّة.

لا يمكن النّظر إلى العاميّة فقط كأداة تهديد، بل قد تُعدُّ مكوّنًا ثقافيًّا يحمل خصوصية محليّة.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة الدّعوة إلى العاميّة في لبنان من منظور لغوي وثقافي واجتماعي، من خلال تتبّع مراحلها التاريخية وتحليل آثارها الواقعيّة، وذلك عبر مجموعة من الأهداف الأساسية.

توضيح الفرق بين اللّغة العربية والفصحى والعاميّة من حيث الوظيفة والمكانة.وقد بيّن تمام حسان أن الفصحى تمثّل نظامًا لغويًا رفيعًا يحمل الخصائص الفكرية والثقافيّة للأمّة، بينما العاميّات تنتمي إلى مستويات أدنى من حيث الاستخدام الوظيفي والاجتماعي.[1]

تحليل الخلفيات الفكرية والتاريخيّة للدعوة إلى العاميّة في لبنان.ويؤكّد لويس عوض «أنّ هذه الدّعوة لم تكن محض ظاهرة لغويّة، بل نتجت عن صراعات ثقافية وأيديولوجية، ربطت بين اللّغة والهوية والانتماء»[2].

رصد أبرز المواقف الدّاعمة والمعارضة لاستخدام العاميّة، مع دراسة رموز هذه الدّعوة.وقد «دعا سعيد عقل إلى كتابة اللغة العربيّة بالحرف اللاتيني، معتبرًا أنّ الفصحى ليست لسان لبنان الحقيقي، بل لغة « غريبة» عن وجدانه»[3].بيان أثر هذه الدّعوة على التّعليم والإعلام والمشهد الثقافي في لبنان.ويشير إبراهيم السّامرائي إلى «أن شيوع العاميّة في وسائل الإعلام أضعف مستوى المتعلمين في الفصحى، ممّا سبّب تشوّها في الذّائقة اللّغوية والبيئة التّعليميّة[4].إبراز دور القرآن الكريم كمصدر ثابت لحماية الفصحى وتعزيز مكانتها في وجدان الأمّة.يؤكد فاضل صالح السّامرائي «أنّ وجود القرآن بهذه الفصاحة والثّبات الصّرفي والنّحوي حمى العربيّة من الذّوبان في العاميّات، وأبقاها لغة حيّة»[5].

اقتراح حلول متوازنة تحترم التنوّع اللّغوي دون المساس بالمكانة الرّسميّة للفصحى، إذ يرى علي القاسمي في هذا السّياق أنّ حمايّة الفصحى لا تعني تهميش العاميّة، بل إدارتها ضمن سياسات لغويّة تراعي التعدّد، وتحمي اللّغة الأم بوصفها حاملًا للهويّة[6].

الدّراسات السّابقة:

إنّ من الدّراسات السابقة المهمّة التي يمكن الاستناد إليها في هذا البحث هي:

- **عبد السلام المسدي**[7]: في بحثه ركّز على العاميّة كأداة للهيمنة الثقافية الغربيّة، وربطها بمشروع تفكيك الهُويّة القومية العربيّة.حذّر من أنّ العاميّة قد تستخدم كوسيلة لفصل الشّعوب العربيّة عن تراثها المشترك.
- **نهاد الموسى**[8]: درس الموسى الازدواجيّة بين الفصحى والعاميّة، معتبرًا أنّ الاستخدام المزدوج يشكّل تهديدًا للبنية المعرفيّة عند المتلقّي العربي، وقدّم تحليلًا وظيفيًا للعاميّة.
- **سناء الخولي**[9]: حلّلت أثر العاميّة في الإعلام المرئي والمسموع، وبيّنت كيف ساهم الإعلام في ترسيخ استخدام اللّهجات العاميّة في أذهان الجمهور، على حساب الفصحى.

تُظهر الدّراسات السّابقة أنّ الدّعوة إلى العاميّة في لبنان لم تكن مجرّد طرح لغوي، بل هي مشروع ثقافي ذو أبعاد سياسيّة وفكريّة.غير أنّ هذه الدّراسات،على الرّغم من أهميّتها، لم تقدّم تحليلًا شاملًا للتّحوّلات المعاصرة التي طرأت على الخطاب العام. وهنا تأتي الدّراسة المقترحة لتسدّ هذا الفراغ وتقدّم رؤية تحليليّة جديدة تتجاوز الطّرح التقليدي، من خلال استقراء الواقع اللغوي اللبناني الرّاهن.

أمّا دراستي المقترحة تأتي استجابة لحاجة ملحّة معرفيّة لفهم العلاقة المتنامية بين اللّغة العاميّة والخطاب العام في لبنان، في ظل التحوّلات الاجتماعيّة والإعلاميّة والسياسيّة التي يشهدها البلد.تنطلق الدّراسة من فرضيّة أساسية مفادها أن توسّع حضور العاميّة في مجالات الإعلام، والتّعليم، والسياسة، قد أعاد تشكيل الوعي الثقافي لدى المتلقّي اللبناني، وساهم في إعادة إنتاج مفاهيم الهُويّة والانتماء واللغة.

وعلى الرّغم من تعدد الدّراسات التي تناولت الدّعوة إلى العاميّة من منظور لغوي أو ايديولوجي، إلّا أن المرحلة الراهنة في لبنان لم تحظ بتحليل شامل يُعنى بكشف التحوّلات الخطابيّة العميقة التي أحدثها استعمال العاميّة بشكل مفرط في الفضاء العام، وكيف انعكس ذلك على البنية الذّهنيّة والثقافيّة للمجتمع، خاصّة بين الشّباب.

المنهج المتبّع:

تشكّل منهجيّة البحث العمود الفقري لأي دراسة علميّة، إذ توضّح الأسس التي بُني عليها العمل البحثي في المنهج المستخدم، وأدوات جمع البيانات، وأساليب التحليل، ومجال البحث.وفي هذه الدراسة، التي تتناول مراحل الدّعوة إلى العاميّة وأثرها في لبنان، اعتُمد منهج علمي يجمع بين البُعد الوصفي والتّحليلي في مقاربة الظاهرة اللغويّة محلّ البحث.

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التّحليلي، بوصفه الأنسب لدراسة الظواهر الثقافيّة والاجتماعيّة المرتبطة باللغة.فالمنهج الوصفي يسمح برصد وتحليل مراحل الدّعوة إلى العاميّة في لبنان، منذ بداياتها الفكريّة وحتّى تجليّاتها المعاصرة في الإعلام والتّعليم والثقافة، بينما يتيح الجانب التحليلي دراسة الأبعاد الخفيّة والنتائج المترتبةعى هذه الدّعوة.

ولهذا الاختيار للمنهج مميزات عديدة منها: قدرته على التّعامل مع الظواهر اللغويّة والاجتماعيّة المتشابكة.وإمكانيّته في تتبّع التطوّر الزّمني والبعد التاريخي لموضوع البحث، ومناسبته في الجمع بين النّصوص النّظريّة والتّطبيقات الواقعيّة(الخطاب السياسي، الإعلامي، التربوي...)

واستُخدم لتحليل الخطابات الاعلامية، والسياسيّة، والنّصوص التّعليميّة التي توظّف العاميّة أو تدعو إلى استخدامها. ويهدف ذلك إلى استخراج المؤشرات اللغوية والأيديولوجيّة الكامنة في الخطاب.

واعتُمد لفهم كيف يُستخدم الخطاب العامي في تشكيل المعاني والوعي الجمعي، خاصة في وسائل الإعلام والمنصّات الرّقميّة.يُعنى بتحليل البنية اللغوية والرمزية للخطاب العامي في سياقه السياسي والاجتماعي.

وقد جرى دعم هذا المنهج بمقاربتين فرعيتين، هما:

1- **منهج تحليل المحتوى**: الذي استُخدِم لتحليل النّصوص الصّحفيّة، والمقالات الأكاديميّة، وبعض المواد الإعلاميّة والتّعليميّة، في حضور الفصحى والعاميّة، وتكرار المفاهيم والمصطلحات ذات الصّلة، وذلك بهدف كشف التّوجهات العامّة تجاه اللّغة.

2- **منهج تحليل الخطاب**: وقد استُخدم لتحليل المواقف الخطابيّة التي تعبّر عن رؤية فكريّة أو أيديولوجية فيما يتعلّق بالفصحى والعاميّة، وذلك بهدف كشف الأنساق الثّقافيّة والاجتماعيّة التي تقوم عليها هذه الخطابات.

اللغة العربيّة ما بين العامي والفصيح:

اللّغة هي أداة التّعبيرعن المعاناة بصدقٍ، ولهذه اللغة على الرّغم من مصداقيّتها، حصانة كبيرة إذ إنّ انعدام الثّقة بها يؤدّي إلى دحر قوميّة لغوية لطالما أنكبّ السّالفون على الحفاظ عليها.

ولقد أوجدت الدّعوة إلى العاميّة انقسامًا في اللّغة ففرّعتها إلى فرعين: "العاميّة والفصحى"،ومن هنا يبدأ الصّراع في الدّعوة إلى اتّخاذ العاميّة أداة للتّعبير الأدبي، وإحلالها محلّ العربيّة الفصحى، وربّما هذه الدّعوة من أخطر الدّعوات التي

تعرّض فيها التّعبير لأعنف أزمة عرفها الأدب خلال تاريخه الطويل.وربّما انقلاب ثقافي ستحدثه العاميّة على الفصحمن خلال هذه الدّعوة فتُكسب حضارة مرّ على الحفاظ عليها أعصُر طويلة، ويضيع تراث قلّما نجد له بديلًا، وتضيع هوية الشّعوب العربيّة أيضًا.

فاللّغة الفصحى هي اللّغة العربيّة المعياريّة التي تُستخدم في الكتابة الرّسميّة، والتّعليم، والإعلام، الخطاب الدّيني، وهي التي نزل بها القرآن الكريم. تمتاز بخصائص نحويّة وصرفيّة دقيقة، وتوحّد العرب من المحيط إلى الخليج.

أمّا اللّغة العاميّة هي لهجات محكيّة تختلف من بلد إلى آخر، بل من منطقة إلى أخرى داخل البلد الواحد.تطوّرت عن الفصحى القديمة لكنّها فقدت بعض خصائصها، وتُستخدم غالبًا في الحديث اليومي والمجال غير الرّسمي.ولا بدّ من الإشارة إلى نشأة العاميّات العربية نشأت من تطوّر الفصحى بفعل احتكاك العرب بالشّعوب الأخرى بعد الفتوحات، وبتأثير الزّمن والتّحولات الاجتماعيّة.إذ إنّها فقدت بعض قواعد الفصحى واختلطت بلغات أخرى، وتحوّلت إلى وسيلة تواصل شفهي فقط، في مقابل استخدام الفصحى في الكتابة والرّسميّات.

ويرى البعض أنّ العاميّة أكثر قدرة على التّعبير العفوي والواقعي عن مشاعر الناس، بينما يرى آخرون أنّ التّرويج لها يهدّد وحدة العرب اللّغوية والثّقافيّة.

وبدأت الدّعوات إلى العاميّة في لبنان أواخر القرن التاسع عشر، في ظلّ تصاعد نشاط الإرساليّات الأجنبيّة والمدارس الغربيّة.وانتشرت في الأوساط المتأثرة بالثّقافة الأوروبيّة، خاصة في بيروت وجبل لبنان، إذ برز خطاب يدعو إلى تحديث اللّغة وتبسيطها.كما وأنّ للدور الاستعماري والإرسالي دور مهم في نشر ثقافة مغايرة للثقافة العربية الإسلاميّة، وشجّعت على استخدام اللّهجات المحليّة في التّعليم والخطاب اليومي.وتزامن ذلك مع الانتداب الفرنسي الذي عزّز فكرة " الهُويّة اللبنانيّة" المنفصلة عن الهويّة العربيّة، ما دفع بعض المفكرين إلى دعم مشروع " اللّغة اللبنانيّة". وشعور بعض المفكرين بأنّ الفصحى بعيدة من النّاس، وتعاني من "جمود"، ممّا يُعيق النّهضة.وطرحوا العاميّة على أنّها أقدر على التّعبير الحي عن مشاعر النّاس وحياتهم اليوميّة، خاصّة في الشعر والمسرح، وقد تأثّروا بنماذج أوروبيّة إذ إنّ اللّغة المحكيّة تتطوّر لتُصبح معياريّة.وفي ظلّ الانقسام الطائفي، استُخدمت اللّغة كوسيلة لبناء هويّة لبنانيّة خاصّة منفصلة عن الانتماء العربي أو الإسلامي.ومن أبرز الدُّعاة في السّاحة اللّبنانيّة سعيد عقل الذي دعا إلى كتابة العاميّة بالحرف اللاتيني، وعدّها

لغة رسميّة، دعمًا لفكرة " الكيان اللبناني المسيحي المتمايز".

أثارت هذه الطروحات جدلًا واسعًا وواجهت رفضًا من القوميين العرب والمثقّفين المدافعين عن الفصحى.ومن الرّموز إلى هذه الدّعوة ميخائيل نعيمة ولكّنه لم يدعُ إلى استبدال الفصحى بالعاميّة، بل دعا إلى تبسيط اللّغة الفصحى لتكون أكثر قربًا من المتلقّي ورأى أنّ الجمود اللّغوي يُعيق تطوُّر الأدب العربي. لكنّه كتب بالفصحى وقد استخدم لغة سلسةً وسهلة، ونبّه إلى أنّ اللّغة يجب أن تكون أداة للتّعبير لا قيدًا على الفكر.والأكثر أهمّيّة من ذلك أنّ الكثير من مثقّفي لبنان رفضوا الدّعوة، معتبرين أنّ العاميّة غير مؤهّلة لحمل الفكر الفلسفي أو العلمي، وأنّها تهدّد وحدة الأمّة.

ولا بدّ من الإشارة إلى ظهور استخدام العاميّة بقوّة فيي الزّجل اللّبناني، وعُدَّ وسيلة للتّعبير الشّعبي.فالأخوان الرّحباني وفيروز أسّسوا مدرسة فنيّة لبنانيّة رفيعة باللّغة العاميّة، جعلت منها أداة راقية. وفي النّصف الثاني من القرن العشرين، بدأت تظهر برامج إذاعيّة وتلفزيونيّة باللّغة العاميّة.ازدهرت برامج باللّهجة اللّبنانيّة، مثل المسلسلات والحوارات، ما زاد من حضور العاميّة في الخطاب العام. ومع انتشار وسائل التّواصل الاجتماعي، أصبحت العاميّة لغة الكتابة اليوميّة، خاصّة بين الشّباب، ولكن لم تُعتمد العاميّة رسميًا في التّعليم، فهناك من دعا إلى تدريس بعض المواد باللّهجة لتسهيل الفهم،ولكن المؤسسات الأكاديميّة رفضت هذا الاتّجاه عمومًا، حفاظًا على الفصحى.

تطور حضور العاميّة في العصر الرّقمي إذ إنّها تُستخدم بشكل واسع، والكثير من الشّباب يكتبون بالعاميّة، بالحروف العربّة أو اللّاتينّة، ما أدّى إلى تراجع استخدام الفصحى لصالح اللّهجة المحكيّة، خاصّةً بين الأجيال الجديدة، وأدّى هذا إلى فجوة لغويّة بين لغة التّعليم ولغة الواقع، ما أثّر على تحصيل الطلاب اللّغوي والتّعبيري. وعدَّ كثير من المفكرين أنّ الدّعوة إلى العاميّة تمسّ الهويّة العربية الجامعة.

فاللّغة الفصحى كانت دائمًا أداة وحدة ثقافيّة بين الشعوب العربيّة، واستخدام العاميّات يكرّس التّجزئة والانفصال.ففي لبنان، ارتبطت العاميّة بمشروع الهويّة اللّبنانيّة المستقلّة، ما جعلها محل خلاف سياسي وثقافي.ولا تزال الفصحى اللّغة الرّسمية والدّستوريّة في لبنان.وتستخدم العاميّة بشكل واسع في الإعلام والفنون، من دون أن تلغي الفصحى.ويظهر توجّه حديث للتّوازن: الاعتراف بدور العاميّة في التّعبير الفنّي والحياتي، مع الحفاظ على الفصحى كلغة كتابة وتعليم وفكر.

تُعدُّ الدّعوة إلى العامية في لبنان ظاهرة مركّبة، تتداخل فيها الأبعاد اللّغوية والسّياسية والثّقافيّة. على الرّغم من عدم نجاحها في فرض العاميّة بديلًا عن الفصحى، فإنّ أثرها في المشهد اللّغوي واضح.والرّهان اليوم هو تحقيق توازن لغوي صحي يحترم الفصحى كلغة جامعة، دون إقصاء العاميّة كلغة تواصل حيّ.

ويسلّط البحث الضوء على الأبعاد التّاريخيّة والاجتماعيّة لاستخدام اللهجة العاميّة، ما يمكن من استيعاب خلفيات هذا التحوّل اللّغوي وأسبابه، ومدى تأثيره على التّعليم والإعلام والأدب، وعلى ترسيخ مفهوم الهُويةّ الوطنية.ويعدُّ البحث ذا أهميّة خاصّة في تقديم رؤية متوازنة بين الدّفاع عن الفصحى والحفاظ عليها، وبين الاعتراف بدور اللّهجة العاميّة في الحياة اليوميّة وتطوّر اللّغة.

علاوة على ذلك، يساعد البحث في توثيق ومناقشة التّحديّات التي تواجه اللّهجة اللّبنانية، مثل قضايا الإعتراف الرّسمي، والقبول الاجتماعي، والاحتكاك مع اللّغة الفصحى، ما يفتح المجال أمام استراتيجيّات للحفاظ على التنوّع اللّغوي وتعزيزه.ومن خلال ذلك، يُسهم البحث في إثراء الدّراسات اللّغوية والاجتماعيّة في لبنان والعالم العربي، كما يزوّد صنّاع القرار الثّقافي والتّعليمي ببيانات وأفكار قد تساعدهم في رسم سياسات لغويّة متوازنة تحترم التنوّع والخصوصيّة الوطنية.

وعلى الرّغم من كل ما تقدّم يبقى القرآن الكريم الضّمانة لحفظ اللغة العربية الفصحى، فيُعدُّ القرآن الكريم المرجع الأعلى والرّكيزة الأكثر أهمّيّة في الحفاظ على اللّغة العربيّة الفصحى واستمرارها عبر العصور.فمنذ نزوله بلغة عربيّة فصيحة، كان للقرآن دور جوهري في تثبيت قواعد اللغة، وتأصيل مفرداتها، وتكريس مكانتها في الوجدان الدّيني والثّقافي العربي والإسلامي.وقد نصّ القرآن على فصاحته بقوله:﴿ **إنّا أنزلناه قُرآنا عربيًا لعلّكم تعقلون** ﴾[10]، ما يجعل العربيّة جزءًا أصيلًا من الرّسالة الإلهيّة.

إنّ خصوصيّة النّص القرآني بوصفه نصًّا مقدّسًا ومعجزًا، لايقبل التّرجمة التي تغني عنه، وقد ساهمت في جعل اللّغة الفُصحى لغة محفوظة ومرجعيّة دائمة للمسلمين، لا سيّما وأنّ أداء العبادات والصلوات وتلاوة الأحكام الشّرعيّة لا تتمّ إلّا بها.كما أنّ الحاجة إلى فهم القرآن دفعت المسلمين، عربًا وغير عرب، إلى تعلّم الفصحى، ما عزّز من انتشارها وتطوّر علومها المختلفة كالنّحو والصّرف والبلاغة، والتي وُضعت أساسًا لفهم النّص القرآني وحمايته من التّحريف.

وعلى الرّغم من تنوّع اللّهجات العربيّة واختلافها، بقيت اللّغة الفصحى حاضرة بوصفها النّموذج الأعلى، بفعل استقرار النّص القرآني الذي لم يتبدّل، فكان عامل توازن بين العاميّات وضامنًا لوحدة الهُويّة اللّغوية العربيّة.وقد أثّر هذا الثّبات في بناء تراث أدبي وعلمي واسع، استلهم من النّص القرآني أساليبه وبلاغته، فكان القرآن من المصادر المهمّة لبقاء اللغة العربيّة حيّة متماسكة.وعليه فإنّ القرآن الكريم لم يكن مجرّد وعاء لغوي، بل كان ولا يزال ضمانة كبرى لحفظ اللغة العربيّة الفصحى من التآكل أو الإندثار، في وجه التّحديّات الدّاخليّة والخارجيّة، وعلى رأسها تغلغل العاميّات أو تأثير اللّغات الأجنبية.

وبفضل القرآن الكريم، لم تتحوّل العربيّة إلى لغة ميّتة كما حصل مع كثير من اللّغات القديمة، بل بقيت حيّة تُدرّس وتُكتب وتُستخدم في الإعلام، والتّعليم، والدّين، والأدب.ولولا القرآن، لربّما ضعفت الفصحى تحت ضغط العاميّات، أو تأثّرت بالاستعمار الثّقافي واللّغوي.

ومن أهميّة البحث إظهار العلاقة بين اللّغة الفصحى والعاميّة اللّبنانيّة وقد وُجِدَ تداخل كبير، إذ تحوّلت بعض الكلمات والمصطلحات من العاميّة إلى الفُصحى الحديثة (خاصّةً في الإعلام والأدب الشّعبي)، ومن أبرز الأمثلة:

أوّلا: كلمات انتقلت من العاميّة إلى الفصحى الحديثة: إذ دخلت إلى الكتابات الأدبيّة، الإعلام، أحيانًا القواميس الحديثة

1- دَغري(مباشرةً)- شائعة في العاميّة اللّبنانيّة، وأصبحت مستخدمة في بعض النّصوص المعاصرة.
2- أوكي- كلمة دخيلة لكنّها تستخدم بالفصحى الإعلاميّة بشكل غير رسمي.
3- نكّد- أصبحت تستخدم في بعض النّصوص بمعناها العامي(أزعج).
4- نقّ- بمعنى التذمّر، استُخدمت في بعض الكتابات السّاخرة.
5- زكزك- من المحكيّات، دخلت بعض المعاجم الحديثة بمعنى « حكّ بخفّة».
6- طقّ حنكو- للتعبير عن الثرثرة، أصبحت توظّف في السّرديّات الحديثة.

ثانيًا: كلمات فصحى تحوّلت إلى عاميّة مستقرّة:

1- بِسّ- أصلها الفصيح «بَسّ» بمعنى «اكتفى»، تحوّلت إلى «بس» العاميّة (لكن).
2 هلّق- تحوير لكلمة « الآن»، تُستخدم في العاميّة بشكل دائم.
3- ليك- من «انظر»، أخذت بمعنى « انظر إلى» أو «ها هو».
4- إمتى- من «أي متى»، تُستخدم للسؤال عن الوقت.
5- هيك- من « هكذا».

6- هيدا/ هيدي- من «هذا/ هذه».
7- مش- أصلها الفصحى «ما شيء»، واستُقرّت في العاميّة للنّفي.

ثالثًا: مصطلحات انتقلت دلاليًا:

فكلمة «الزعيم»: على سبيل المثال كلمة فصيحة، لكنّها في العاميّة اللبنانيّة تُشير إلى زعيم طائفي أو حزبي (تحوّلت دلاليًا).

بالإضافة إلى تسليط الضوء حول الاختلاف الملحوظ في اللّهجات اللّبنانيّة بين منطقة وأُخرى، على الرّغم من اشتراكها جميعًا في القواعد العامّة للّهجة اللّبنانيّة.يعود هذا الاختلاف إلى عوامل جغرافيّة، دينيّة، واجتماعيّة.ومن أبرز هذه الفروقات:

1- لهجة بيروت: سهلة وخفيفة الإيقاع، وتميل إلى التّبسيط في النّطق.مثال: «شو عم تعمل؟» ينطقون القاف غالبًا كهمزة.
2- لهجة الجبل (الشّوف، عالية، المتن): محافظة أكثر على بعض مخارج الحروف. ويُحتفَظ بحرف القاف أحيانًا، خصوصًا في القرى: «قهوة تبقى قهوة».
3- لهجة الجنوب: نبرة أبطأ وأثقل، وتَستخدم عبارات مميّزة مثل: «شو بدّك فيي؟» بدلًا من «شو خصّك؟»
4- لهجة البقاع: أكثر قربًا للّهجات السّوريّة إذ يشيع استخدام ألفاظ بدوية أو قرويّة.
5- لهجة الشّمال(طرابلس، زغرتا، عكار): تختلف طرابلس عن القرى الجبليّة، ففي طرابلس القاف تُقلب همزة، كالبيروتيّة وفي زغرتا والبترون: القاف تُلفظ «أ» أو تبقى كما هي، والنّون تُشدّد.

وهناك العديد من المصطلحات والكلمات التي تحوّلت بين العاميّة اللبنانيّة والفصحى،منها:

هلّق كلمة عاميّة تعني الآن، ليك كلمة عامية تعني انظر، شو كلمة عامية تعني ماذا....وهناك العديد من الأمثلة المشابهة التي تحوّلت بين العاميّة اللبنانيّة والفصحى.

الخاتمة:

بعد دراسة تحليليّة معمّقة لمراحل الدّعوة إلى استخدام اللّهجة اللّبنانيّة العاميّة وأثرها في السّياق اللّغوي والثّقافي في لبنان، تبيّن لنا أنّ هذه الدّعوة على الرّغم من انتشارها ودعم بعض المفكرين والأدباء لها، لم تنجح في زعزعة مكانة اللّغة العربيّة الفصحى في المجالات الرّسميّة والأكاديمية والتّربويّة.

فقد بقيت الفصحى اللّغة المعتمدة في القوانين والدّساتير، وفي التّعليم والإعلام الرّسمي، وهي لا تزال تمثّل رمزًا للهويّة العربيّة والوحدة الثّقافيّة بين الشّعوب العربيّة.

أمّا العاميّة اللّبنانيّة، فقد أثبتت قدرتها على التّعبير الفنّي والشّعبي، وأسهمت في

تجديد الخطاب الثّقافي المعاصر، خصوصًا في المسرح، والأغنية، والإعلام، ولكنّها بقيت محصورة في فضاء التّعبير اليومي وغير الرّسمي.

كما أنّ محاولات ترميز العاميّة وتحويلها إلى لغة مكتوبة كما في مشروع سعيد عقل، لم تلق قبولًا جماهيريًّا واسعًا، ما يدلّ على عمق الإرتباط بالفصحى ورفض فكرة القطيعة معها.وبهذا، يظهر أنّ المجتمع اللّبناني يعيش واقعًا لغويًّا مزدوجًا، توظّف فيه الفصحى والعاميّة كلّ في مجاله، من دون أن تحلّ إحداهما محلّ الأُخرى.

تؤكّد هذه الدّراسة أنّ الحفاظ على الفصحى، وتطوير العاميّة ضمن حدودها الوظيفيّة، هو الطريق الأمثل لصون الهويّة الثّقافيّة واللّغويّة في لبنان، مع تعزيز التّعدّديّة اللّغوية من دون تفكك أو تهميش.

ولا بدّ في نهاية هذا البحث من عدّة توصيّات أساسيّة:

- تعزيز تعليم اللّغة العربية الفصحى بأساليب حديثة في المدارس والجامعات، لضمان استمرار حضورها في الأجيال القادمة.
- تشجيع الدّراسات اللّغويّة التي تُعنى بالازدواجيّة اللّغويّة في لبنان، لفهم أثرها على الهويّة والتّواصل المجتمعي.
- دعم المحتوى الإعلامي والفنّي الذي يجمع بين الفُصحى والعاميّة بشكل متوازن، بما يحفظ الأصالة ويُعبّر عن الواقع المُعاصر.
- الحذر من محاولات ترميز العاميّة وتحويلها إلى لغة مكتوبة رسميّة، لما في ذلك من تهديد للانتماء الثّقافي العربي المُشترك.

العمل على توثيق المصطلحات والتّراكيب العاميّة في قواميس لغويّة علميّة، بهدف دراستها ومقارنتها بالفصحى من دون تبنّيها كلغة بديلة.

الهوامش

1 - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 45.
2 - لويس عوض، في فقه اللغة العربية، ص:102.
3 - سعيد عقل، كتاب اللغة اللبنانية، ص: 7
4 - إبراهيم السامرائي، اللغة العربية بين النحو والوظيفة، ص: 88.
5 - فاضل السامرائي، معاني النحو، ج1، ص: 13.
6 - علي القاسمي، اللغة العربية في عصر العولمة، ص: 59.
7 - عبد السلام المسدي، الهوية اللغوية في الوطن العربي، 2004.
8 - نهاد الموسى، العربية الفصحى والازدواجية اللغوية، 1989.
9 - سناء الخولي، اللغة والإعلام، 1998.
10 - القرآن الكريم، سورة يوسف

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.
2- حسان، تمام.اللغة العربية: معناها ومبناها.القاهرة: دار الثقافة، 1979.
3- السامرائي، ابراهيم.اللغة العربية بين النحو والوظيفة، ص88.
4- السامرائي، فاضل.معاني النحو.عمّان: دار عمار، 1998.

5-عقل، سعيد، اللغة اللبنانية.بيروت منشورات دار مجلّة شعر، 1973.
6-عوض، لويس.في فقه اللغة العربية.القاهرة: دار المستقبل العربي، 1994.
7- القاسمي، علي.اللغة العربية في عصر العولمة.الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 2004.
8- المسدي، عبد السلام.الهوية اللغوية في الوطن العربي.بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،2004.
9- الموسى، نهاد.العربية الفصحى والازدواجية اللغوية.عمّان: دار الشّروق، 1989.
10- الخولي، سناء.اللغة والإعلام.القاهرة: دار الفكر العربي، 1998.